من تراب الطريق (٤٩١) ما بعد حرق الزرع جيرة !! (*)

المفترض فى المفاوضات ، أى مفاوضات ، أنها تتغيا الوصول إلى صيغة يرتضيها المتفاوضون ، ومن المحال أن يرتضى المتفاوضون حلولاً جانحة تميل على طرف لحساب آخر ، فتفقد «العدل» وهو أساس الرصاء والتفاهم والتراضى .

والمفاوضات المباشرة التى دُفعَ الفلسطينيون للالتقاء فيها مع الإسرائيليين ، تفترض أن غايتها سلام عادل يرتضيه الطرفان ، يرتفع به السلاح ، ويرفع غصن الزيتون ، وترفرف حمامة السلام ..

لذلك فلا معنى للمفاوضة إذا تضمن موقف أحد الطرفين المصادرة المسبقة على المطلوب . ومن هنا لم أفهم ولا أظن أن أحداً يمكن أن يفهم كيف تجرى مفاوضات ويقبل الفلسطينيون المضى فيها ، بينما تتمسك إسرائيل بيهودية الدولة ، وبوقف تجميد بناء المستوطنات . إن التمسك بيهودية الدولة معناه تكريس للعنصرية وإهدار تام لحقوق الفلسطينيين الباقين فى إسرائيل ، وتغليق الأبواب فى وجه أصحاب الحق فى العودة إلى ديارهم التى طردوا منها . والغريب أن يلقى هذا التعصب الضرير قبولاً من الولايات المتحدة التى لم تجد أى غضاضة فى أن تعلن أنها تقر «يهودية» إسرائيل .. فماذا لو حذت دول العالم حذو إسرائيل ، فأعلنت كل دول أوروبا

(*) المال ٤/ ١٠/ ٢٠١٠

الغربية والشرقية ، وبها أغلبية مسيحية «مسيحية» الدولة ، وحذت حذوها دول الأمريكتين ، ورأت الدول ذات الأغلبية الإسلامية أنها لا يجوز عدلاً أن تتخلف عن مجاراة ذلك ، فأعلنت كل منها بدورها «إسلامية» الدولة ، ليتحول العالم كله إلى دول «مسيحية» ودول «إسلامية» ، لا لشيء إلاّ لأن الكيان الإسرائيلى ، وهو الوحيد فى العالم الغالب فيه اليهود ، يريد إشهار «يهودية» الدولة ، وتكريس زرع العنصرية الدينية التى سوف يعانى العالم كله من ويلاتها إذا تركت إسرائيل وما تريده !!

والغريب جدا أن ينفى محمود عباس الرئيس الفلسطينى المنتهية ولايته أن يكون قد اعترض على طلب سلطات الاحتلال الاعتراف بـ «يهودية» إسرائيل ، وتطوع سيادته فأبدى لا فض فوه ! خلال لقائه بقادة اللوبى الصهيونى وجمعيات أمريكية فى نيويورك أبدى أن من حق إسرائيل أن تسمى نفسها بما تشاء لأن ذلك شأن إسرائيلى داخلى لا يهم سيادته ! وزاد فأجاب بالإيجاب عن سؤال عما إذا كان الفلسطينيون سيؤيدون قراراً من الكنيست بإعلان إسرائيل دولة يهودية ، وقال بالفم المليان : نعم !!!

وفى الوقت الذى يطلق الرئيس الفلسطينى هذه التصريحات الخائبة ، فإن ليبرمان يدعو لبحث ترحيل «عرب ٤٨» ، وكان نتن ياهو قد صرح مراراً أنه يجب على الفلسطينيين التخلى وصرف النظر عن حق العودة إلى ديارهم !!!

على أن الولايات المتحدة لم تجد ولا من يوالونها ، ذريعة أو تعلة لإقرار «الاستيطان» أو الدفاع عن المضى فيه .. فالاستيطان تكريس صريح للاحتلال المتغيا بالمفاوضات الإقلاع عنه ليكون للفلسطينيين دولتهم على المتبقى لهم من وطنهم الذى اغتالته الصهيونية . فكيف يتفاوض الفلسطينيون على

استرداد أراضيهم المحتلة وإقامة دولتهم عليها ، بينما إسرائيل ماضية فى بناء المستوطنات على ذات الأرض المفترض أن تقوم عليها الدولة الفلسطينية حسبما يقال إنه هدف المفاوضات المباشرة لإمكان إحلال السلام ؟!

لقد توالت «المناشدات» لإسرائيل ، وآخرها من الرئيس أوباما فى خطابه من أيام أمام الجمعية العامة بالأمم المتحدة ، أن تمد تجميد لا إلغاء !!! بناء المستوطنات ، وحاذاها تصريحات ومناشدات متعددة صادرة من الرباعية الدولية ، وسكرتير عام الأمم المتحدة ، ومن رؤساء الدول الغربية الكبرى ، ترجو إسرائيل وتمعن فى الرجاء أن تتفضل بمد «تجميد» بناء المستوطنات ، لأن رفع «التجميد» واستئناف البناء ينسف المفاوضات نسف ويفرغها من أى مضمون أو غاية يرتضيها العقلاء !

ومع أن الرئيس الفلسطينى قد انزلق إلى التصريح بأن «يهودية» إسرائيل شأن داخلى لها لا يعنيه ، ولم يعترض هكذا !! عليه ، إلاّ أنه لم يجد بداً من التصريح بأن استئناف العمل بالمستوطنات يعنى نسف وإنهاء المفاوضات فورا !

واعتراض الرئيس الفلسطينى ، يراه معه العالم بأسره ، إلاّ إسرائيل .. وهى لا تعدم تسريب التعلات بأن نتن ياهو لا يستطيع اتخاذ هذا القرار وإلاّ انفجر ائتلافه الحكومى ! فإذا كانت هذه «التعلة» صادقة ، فإن معناها أعمق وأدهى وأخطر ، وهو أن المجتمع الإسرائيلى برمته مجتمع حرب لا يرتضى السلام .. ما دام لا يرتضى التوقف عن الاستيطان ويستمرئ استمراره فى الأراضى المحتلة المفترض أن تعاد إلى الفلسطينيين لتقام عليها دولتهم الموعودة !

وهذا التعلل بالتيارات الإسرائيلية المعارضة لتجميد الاستيطان ، يكشف للمشكلة أبعاداً أعمق وأخطر يغدو معها الاستمرار على طاولة المفاوضات المباشرة أو غير المباشرة ، نوعاً من الخبل والخرف والهطل والبلاهة ، فضلا عن التفريط ! لا تملك إلا أن تتابع مدهوشا المناشدات والرجوات العالمية الموجهة إلى إسرائيل ، ومن الولايات المتحدة ولية نعمتها فضلا عن الدول الغربية الكبرى ذات الأثر ، بينما تتمنع إسرائيل ، ولا تعطى سوى أذن من طين وأخرى من عجين ، ومع ذلك لا تزال النوايا العربية الحسنة أو الغافلة آملة لماذا لست أدرى ، فى أن تنتج المفاوضات حلاً برغم هذه المصادرة التى لا تبذل إسرائيل أى جهد ولو لمداراتها !!

أيها السادة .. لا معنى للتفاوض إذا أصرت إسرائيل على «يهودية» الدولة وعلى استئناف الاستيطان . بل لا معنى للتفاوض ما لم تقلع إسرائيل إقلاعاً واضحاً عن سياسة الاستيطان التى لا معنى لها سوى تكريس الاحتلال وفرض إسرائيل فرضاً على كل فلسطين التى سوف تصير أثرا بعد عين ، بل أطلالاً لوطن كان قبل أن يغتاله أبناء صهيون !

أيها السادة . لن ينال السلام من لا يكون قادراً على الحرب !!